[مناقب الشافعي][1]

مناقب أعلم علماء الأمة، وأفضلِ فُضلاء الملّة، صاحبِ التلقين والتدريس محمد بن إدريس الشافعي بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب[2] بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب.

وكان مشهورًا بالنسبة إلى جدِّه الرابع، وهو شافع بن السائب.

تولد سنة خمسين ومئة، وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة.

وقيل تولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، والأول مشهور في التواريخ

وكان جدُّه الخامسُ السائبُ صاحبَ رايةٍ في جهالته، فأُسرَ يومَ بدرٍ، وفدى نفسَهُ، ثم أَسلمَ.

وتولّدُ الشافعيِّ بعسقلان، وقيل باليمن، وحُمل إلى مكَّةَ، وهو ابن سنتين.

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ٤٢، التاريخ الصغير ٢/ ٣٠٢، الجرح والتعديل ٧/ ٢٠١، ثقات ابن حبان ٩/ ٣٠، حلية الأولياء ٩/ ٦٣، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧١، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، الأنساب ٧/ ٢٥١، صفة الصفوة ٢/ ٢٤٨، جامع الأصول ١٥/ ٢٣٧، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٠٧، معجم الأدباء ١٧/ ٢٨١، تذكرة الأولياء ٢٦٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤، وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٥٥، تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٥٥، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، طبقات الشافعية (الفهرس من الجزء الأول)، الوافي بالوفيات ٢/ ١٧١، مرآة الجنان ٢/ ١٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١، العقد الثمين ٧/ ٤١٨، غاية النهاية ٢/ ٩٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥، نزهة الألباب ١/ ١٤٣ (تاج الفقهاء)، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٦، طبقات الشعراني ١/ ٥٠، طبقات الحفاظ ١٥٢، طبقات المفسرين ٢/ ٩٨، مفتاح السعادة ٢/ ٨٨، الكواكب الدرية ١/ ٧٠٢، شذرات الذهب ٢/ ٩.

(٢) في (أ) و(ب): التائب.

* قال محمد بنُ الحكيم: إنَّ أمَّ الشافعي لمَّا حملتْ به، رأتَ في منامها كأن المُشتري خرجَ من بطنها وطارَ، ثم وقعَ في كلِّ بلدةٍ، فقال المُعبِّرُ: يخرجُ منها عالمٌ كبيرٌ، يُنشر علمُه في البلدان.

وقال: ليس له تعصّبٌ مع الحنفيين.

* وكان الشافعيُّ يقول: من أرادَ الفقهَ فليلازمْ أصحاب أبي حنيفة؛ فإنَّ المعاني قد انتشرتْ منهم، فواللهِ ما صرتُ فقيهًا إلاّ باطِّلاعي في كتبهم، ولو لحقتُهُ للازمتُ مجلسَهُ.

قيل: أنشد الشافعي في حقِّه:

لقد عمر البلاد ومن عليها

إلى آخره. . . . فمذكور في أول مناقبِ أبي حنيفة[1] كذا في «التقديمة»[2].

* قال في «التذكرة»[3]: إن الإمامَ الشافعي رحمه الله جلسَ في بساط الفتوى وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة.

* حتى رُوي أنَّ أحمد بنَ حنبل رحمه الله كان أعلمَ علماء العراق، وأفضلَ فضلاء الآفاق، مُفتي الأنام بالوفاق، وكان في حفظه ثلاثةُ آلاف حديث، ومع ذلك يدعُ مجلسَه، ويُلازمُ مجلسَ الشافعي، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل له: أنت إمامٌ وشيخٌ ذو سنين، معدنُ الفضل واليقين، وتلازمُ مجلسَ الشاب حديث السنِّ؟! فقال: كيف لا أُلازمُ مجلسَهُ، فما يعلم من معاني الأحاديث فوق ما علمنا.

---

(١) الذي جاء صفحة (٣١) هو من قول محمد بن المبارك.

(٢) في (ب): في «التقديم».

(٣) تذكرة الأولياء صفحة ٢٦٧.

* وكان بابُ الفقه مسدودًا منذ انتقال أبي حنيفة، وقد فتحه الشافعي، ولأنَّه قال ﷺ «إنَّ الله تعالى يُرسلُ في رأسِ كلِّ مئة سنةٍ بعدي عالمًا يُحيي دينَ الإسلام وسُنَّتي»[1] سيجيء رأسَ مئة الأولى عمر بنُ عبد العزيز، وفي المئة الثانية محمد الشافعي رحمه الله.

* أقول: اعلمْ أنَّ إتيانَ الإمام الشافعي في رأس المئة منقوضٌ بنقلٍ صحيحٍ في تواريخ السلاطين الإسلامية، وصحَّ أنَّ عمر بنَ عبد العزيز تولّى على أمرِ الخلافة في شهرِ صفر سنة تسع وتسعين سنة، فمدّةُ خلافته سنتان وخمسة أشهر، فنظمه أحمد بن جان:

فتنـة دن خـالـي أيـدي عهـد نـده دهـرا يمـن معمـور ايـدي

ايل وشهر اززمان ايجده أمارت ايلدي جومد خراب ايلل عمارت ايلدي[2]

فجاء في المئة الثانية أبو حنيفة كما مرَّ في سبب[3] موته: أنَّ أبا حنيفة تولّد في سنة ثمانين بعد الهجرة، ثم لمَّا بلغَ عشرين سنة شاعَ فضلُهُ وفتواه في العراق والآفاق إلى خمسين ومئة سنة. والشَّافعيُّ رحمه الله تولّد في مئة وخمسين، وثبت أنَّ إتيانه في رأس مئة غير صحيح؛ بل الآتي في رأسِها أبو حنيفة رحمه الله.

* رُويَ أنَّ أمَّ الشافعيِّ رحمه الله كانتْ من بني هاشم، مشهورةً بالديانة والأمانة، ومن كانتْ له وديعةٌ يَضعها عندها، فيومًا جاءَ رجلان إليها، وقالا:

---

(١) حديث رواه أبو داود (٤٢٩١) في الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة. وإسناده صحيح.

(٢) بيتان باللغة التركية، ترجمتهما:

كان بعيدًا عن الفتنة وكان الدهر في عهده معمورًا باليمن

عُمرت الحواضر والبوادي في قليل من الزمان وعُمر كثير من البلاد

(٣) انظر الصفحة (١٠٥).

إنَّ لنا وديعةً نودع عندك؛ لكن لا تردّها أحدَنا بدون الآخر. ثم جاء أحدُهما بعد مدّةٍ، وطلبها، وردَّتها إليه، ثم جاء الآخر، فطلبها، فقالت: رددتها إيَّاها لشريكِكَ. فقال: ألم نشترط لك ألاّ تردَّها إلا بمعيَّتنا!. وكانتْ نسيتِ المعاهدةَ، ثم جاء بمُحْضِرٍ يدّعيها إلى القاضي، فأخذتْ تبكي، والشافعيُّ يومئذٍ ابنُ ستة سنة[1]، فجاءَ من المعلِّمِ، ورأى في البابِ بمحضرٍ حاضرٍ، قال: فماذا تُريدان؟ قال الرجل: عند أُمّكَ الوديعةُ. ففهم الشافعي مرادَهُ، وأمُّه خلفَ الباب تبكي، فقال الشافعيُّ رحمه الله: وتعالَ بشريكِكَ، ولا تُردُّ تلك الوديعةُ مُنفردًا. فراح الرجلُ، وسلمتْ أُمُّه.

* قال الشافعيُّ رحمه الله: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال لي: من أنت؟ قلت: رجلٌ ضعيفٌ من رهطك. قال: ادنُ منّي، وافتحْ فَمَكَ. قال: ففتحتُ، فبزقَ في فمي، وقال: بركاتُ الله عليك[2]. فملأ فمي بزاقِهِ، فابتلعتُهُ، ففتحَ[3] قلبي، وامتلأ بالصفاء، وانجلى عقلي، ثم رأيتُ عليًّا رضي الله عنه أخرجَ خاتمَهُ من أصبعه، وألبسه في أصبعي، فرزقني الله تعالى من علمِهما.

ومن زهده وورعه: أنَّه كان يُجاورُ في الحرم، وهو فقيرٌ لا يقدرُ دهنَ السِّراج، فيُطالعُ كتابَه بضياء القمر، وقناديلُ الكعبةِ تُضيء إلى الفجر، قيل له: لو نظرتَ بضياءِ القناديل لوضحَ الخطُّ، والنظرُ بضياء القمرِ ينقصُ نور بصرك. فقال: القناديل للكعبة لا لمطالعة الكتب. فالنظرُ المفرق للبصرِ من المباح خيرٌ من النظرِ المزيد نوره من غيره.

ومن زهده: أنه ظهرتِ امرأةٌ في عصره واحدةٌ وجهُها مع يمينها أمامها،

---

(١) كذا الأصلين.

(٢) في (ب): بارك الله عليك.

(٣) في (ب): ففسخ قلبي.

وواحدةٌ أُخرى خلفها[1]، فأراد الشافعيُّ أن ينظرَ لعجيب صنع الله تعالى للعبرة؛ لكنْ منعَهُ خوفُ نظرِ المحارم، فأرسلها بأنْ تأذنَ للنِّكاحِ له، وعيَّنَ لمهرها مئة دينار، فعقد النكاح، ودعاها[2]، ثم نظرَ بعجيبِ صنع الله الذي يخلقُ ما يشاء، ويفعلُ ما يريد، ثم سلَّمَ مهرَها المُسمّى، فطلّقها. فالظاهرُ أنَّ عقدَ النكاح بمئةِ دينار لا بمجرد إباحة النظر؛ بل لبسطِ قواعد الأحكام مستقلةً[3]. أي بأي وجهٍ تتوجَّهُ على القبلة عند الصلاة، أو على أيِّ جنبٍ يستقبلها.

* ورُوي أنَّ الشافعيَّ كان لا يخلو لسانُهُ عن التسبيح والتهليل، فيومًا جلسَ عنده الحلاق ليقصَّ شاربه، فقال الحلاّق: لا تُحرّكْ شفتك؛ لعلَّ المِقراضَ يقطعُها[4]. قال: لأن يقطعَ منها قطعةً أحبُّ إليَّ من أن يمضي عليَّ حينٌ بلا ذكرِ اللهِ تعالى.

* قال المُزنيُّ من أصحابه: قرأت «الرسالة»[5] التي ألَّفهَا الشافعيُّ رحمه الله ثمانين مرَّةً، وكان في كلِّ مرّةٍ يقفُ على خطئه، فيُصلحه، فلمَّا كان إحدى وثمانين مرّةً اطَّلعَ على خطئه أيضًا، فقال: هي هي، سُبحان الله، أبى اللهُ أن يكونَ كتابٌ صحيح غيرَ كتابه. كذا في «التقديمة».

---

(١) أي أنهما توأمان ملتصقان ظهرًا لظهر.

(٢) في (أ): ودعا، ثم نظر. وفي (ب): ودهاها ثم نظر.

(٣) في (أ): الأحكام مستقبلة.

(٤) في (أ): المقراض يخطفها.

(٥) «الرسالة»: كتبها الشافعي مرتين، الأولى بمكة، وذلك حين كتب إليه ـ وهو شابٌّ ـ عبد الرحمن بن مهدي ـ توفي سنة ١٩٨هـ ـ أن يصنع له كتابًا في معاني القرآن، ويجمع مقبول الأخبار فيه، وحُجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، وهي الرسالة القديمة لم يبق لها أثر، ثم كتبها مرَّةً أخرى بمصر بعد أن أعاد النظر فيها ورضيها، وهي الرسالة الجديدة التي وصلت إلينا، وبهذا الكتاب صار الشافعيُّ الواضع لعلم أصول الفقه. حقّقها العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

* وفي بعض التواريخ: تولّدُ الشَّافعيِّ في قريةٍ من فلسطين[1]، فمات أبوه إدريس وهو ابنُ سنتين، فحملتْهُ أمُّه إلى مكَّةَ، ونشأَ فيها، وجالس بعلمائها، وفتحَ اللهُ تعالى عليه ما لم يفتحْ على غيرِهِ، ثم جاءَ إلى بغداد، وأقام سنتين، ثم عادَ إلى مكَّةَ شهورًا، ثم جاءَ إلى المصر، وأَقامَ فيها، وكان يُقسّم ليله ثلاثةً: ثلُثُها للتعليم، وثلُثُها للصلاة، وثُلثها للنوم، وكان لا يحلفُ بالله قطُّ لا صَادقًا ولا كاذبًا.

* ورُويَ أنَّ خلفاءَ بغداد كانوا يأخذونَ الجزيةَ عن الروم، فجمع قيصرُ القسيسين ورهابنَه في مجلسه[2]، وقال: إن عساكرَنا أكثرُ، وشوكتَنَا أَزيدُ، وخزينتنا أوفر، وهل تقدرون بالمُباحثة العلمية بعلماء الإسلام؟ فقالوا: إن تأمرنا بها فسمعًا وطاعة، وفي أَيدينا إنجيلٌ وتوراة، وفي أيديهم فرقانٌ وحده، فنُناظرُ بهم بالإنجيل، فإن غلبوا علينا، فنناظر بهم بالتوراة[3]، ولو استأمنوا لنا. فاختار قيصرُ من حذَّاقِهم ومتكلّميهم أربعمئة من أحبارهم، وأرسل إليهم باستئمانٍ من الخليفة، وكتبَ له: إنْ غلبَ أحبارُنا على علمائكم فتعطينا الجزية، إنَّ الحقَّ والحكمَ للغالب في الكتاب؛ لأنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلى، والباطلَ أَسفلُ وأَنْزَلُ، فإن غلبوا على أَحبارِنا، فنحن على الرَّسمِ القديم.

فلمّا جاءَ أربعمئة من الأحبار على طريق الوفد، أنزلَهُم الخليفةُ في روضةٍ عند الدجلة، فنُفِّسوا ثلاثة أيام، ثم جمعَ بلدَهُ[4]، وعقدوا المجلسَ، فلمّا أَكلوا الطعامَ، ورفعوا المائدة، فجلسَ الرومُ بطرفٍ والعلماءُ بطرفٍ، وشرعوا

---

(١) ولادته في غزة حماها الله ورعاها، ونصر جندها وحباها، وقاتل الله من أرادها بسوء، أو خذل رجالها.

(٢) في (أ): ورهبان بيته.

(٣) في (أ): بهم بالتورية، وفي (ب): بهم بالسوية.

(٤) في (ب): ثم علماء بلده.

المباحثة ساعةً حتى كَثُرَ القيلُ والقال، ورفعوا الصياحَ والأصوات، بحيث لم يتميَّزِ السائلُ والمجيب، فنادى الشافعيُّ، وقال: اسكتوا. فصمتوا، فقال: اختاروا واحدًا[1] من علمائكم وحذَّاقِكِمُ، فليسأل، فليجبْ واحدٌ منَّا مُنفردًا، ومَنْ سواهما منَّا ومنكم مُستمعون، حتَّى لا يتكلَّمَ أحدٌ غيرهما، فيظهر الحقُّ والباطل. فلمَّا شرعَ السُّؤالَ واحدٌ منهم خاطبَ كلُّ واحدٍ منهم بما خطرَ بباله لتكميل السؤال برفعِ الأصوات، حتى لم يُفهمْ مُرادُ السائل، فقام الشافعيُّ، ورفع سجَّادتَهُ على كَتفه، وقال: فليحضرْ أحدُكم معي نتكالم مُنفردين. ومشى على الماءِ، وبسطَ سجّادته عليه، وقعد عليها، فلمَّا رأوه بَقوا متحيّرين، وفيهم رهبان مرتاض، كان يدّعي فيما بينهم الطيران في الهواء، والمشي على الماء، فكلَّفوا عليه، فقامَ ومشى عليه خطوتين، وغرقَ في الثالثة، فلم يجدْه الغوّاص[2]، فلمَّا رآه الأَحبارُ، والشافعيُّ على الماءِ جالسٌ، فقطعوا زنَّارهم، وقالوا: لا إله إلاّ الله محمَّدٌ رسولُ الله.

فهربَ واحدٌ منهم إلى قيصر، وأخبرَ القصَّة، فحَمِدَ اللهَ تعالى قيصرُ وشكرَهُ وفرحَ، قيل له: هل هذا محلُّ الشُّكرِ والسرور؟ قال: نعم، لكن لو دعوناهم إلينا بالاستئمان عندنا، وغلبوا علينا، وأَروا كرامتهم إلينا، وأظهروا حقيقةَ دينهم، ألزموا علينا بالإسلام وعلى الرُّوم كلِّهم، وزهقَ دينُ الآباء والأجداد، والنصاري بالكلّيّة، وقد فدينا أربعمئة رهابين لسلامة ديننا[3]. فلمّا سمعه الوزراءُ وأهلُ إيوانهم[4] شكروا الله تعالى أيضًا، ورضوا بالجزية كما كانت.

* رُوي أنَّ الشافعيَّ لمَّا نزلَ على مالك بن أنس ليتعلّم عنده التوضُّؤَ، صبَّ

---

(١) من هنا حتى نهاية نسخة (أ) اختلف خط نسخ المخطوط، وكأنه كان مدشوتًا، فأتمّه أحد النساخ غير الناسخ الأول.

(٢) في(ب): فلم ينجيه الغواص.

(٣) انظر الحاشية (١) صفحة (١٣٧).

(٤) في (ب): وأهل ديوانه.

مالكٌ الماء على يديه، فامتنعَ، فقال: إنَّ خدمةَ الضَّيفِ فرضٌ على صاحب البيت.

* وكذا رُوي أن هارون دعا أبَا معاوية الضرير[1]، فصبَّ الهارونُ على يديه الماء، فلمّا فرغَ، قال: أتَدري من الصَّابُّ؟ قال: لا. قال: أميرُ المؤمنين. قال أكرمتَ العلمَ، وأَجلَلْتَهُ، أكرمَكَ اللهُ تعالى. كذا في شرح «الشرعة»

* قال ربيع: رأيتُ الشافعيَّ في المنام بعد وفاته، وقلت: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: أَجلسني ربّي على كرسيٍّ من جوهر، ونشرَ عليَّ من اللآلئ، وأعطاني في الجنة مَقامًا مثلَ الدنيا سبعين مرة.

* قال في «الروضة»: تولّد الشافعيّ في غزَّة رجب سنة خمسين ومئة، وتُوفيَ بالمصر سنة أَربع ومئتين، فمدَّةُ عُمرِهِ أربعٌ وخمسون. رحمة الله عليه.

* * *

(١) في (أ): أبا معاوية الوزير.